

الأهمية الجيوبولتيكية لمنظمة شنغهاي وأثرها في السياسة الدولية

الاستاذ المساعد الدكتور

فهد مزبان خزار

جامعة البصرة - مركز دراسات البصرة والخليج العربي

ملخص البحث :

يتناول البحث الأهمية الجيوبولتيكية لمنظمة شنغهاي للتعاون التي أسست عام ١٩٩٦ وعُرفت حينئذٍ باسم خماسي شنغهاي، وضمنت في البداية كلاً من روسيا والصين العملاقين في آسيا، فضلاً عن ثلاث دول من آسيا الوسطى وهي: كازاخستان وقرغيزستان وطاجيكستان. وفي عام ٢٠٠١ انضمت أوزبكستان إلى خماسي شنغهاي، الذي غير اسمه منذ ذلك الحين ليصبح (منظمة شنغهاي للتعاون)، وفتحت المنظمة أبوابها للراغبين من دول المنطقة في الانضمام إليها. وعلى الرغم من عدم ظهور منظمة شنغهاي حتى اللحظة بوصفها فاعلاً أساسياً في الساحة الدولية، إلا أن العدد الأكبر من المحللين والمراقبين يرون أن هذه المنظمة تملك الكثير من المؤهلات الجيوبولتيكية التي قد تساهم في تحويلها إلى قوة دولية ذات تأثير.

وعليه، فإن البحث يحاول تسليط الضوء على هذه المنظمة ودورها المرتقب في الساحة الدولية من خلال الإجابة على الأسئلة الآتية: ماهي منظمة شنغهاي للتعاون وما أهدافها؟ وما المقومات الجيوستراتيجية للمنظمة التي تؤهلها لتكون قوة دولية ذات شأن في المستقبل المتوسط أو البعيد؟ وما رؤية الدول الأعضاء للمنظمة ودورها المرتقب على الصعيدين الإقليمي والدولي؟، وما المعوقات التي تقف بوجه تطور منظمة شنغهاي وتحويلها إلى قطب عالمي جديد؟، وما المستقبل الجيوبولتيكي للمنظمة في ضوء المتغيرات السياسية الدولية؟

Abstract :

Find addresses the geopolitical importance of the Shanghai Cooperation Organization, which was founded in 1996 and then known as the Shanghai Five, and initially included both Russia and China, the two giants in Asia, in addition to the three countries of Central Asia: Kazakhstan and Kyrgyzstan and Tajikistan. In 2001 Uzbekistan joined the Shanghai Five, who changed his name since then to become the (Shanghai Cooperation Organization), and the organization opened its doors to interested countries in the region to join them. Although the SCO does not appear until the moment as a major player in the international arena, but the largest number of analysts and observers believe that this organization has a lot of geopolitical qualifications that may contribute to the conversion to an international force with effect.

Thus, the search is trying to shed light on this organization and her upcoming role in the international arena by answering the following questions: What the Shanghai Cooperation Organization and its objectives? , And the geo-strategic components of the organization that qualifies them to be a significant international force in the medium or long term future?. The vision of Member States of the Organization and her upcoming role on the regional and international levels?, And the obstacles that stand in the development of the SCO and its transformation into a new global pole?, And geopolitical future of the organization in the light of international political changes?

المقدمة :

منذ تفكك الاتحاد السوفيتي بدأ العالم يعاني افتقاراً للاستقرار بسبب تفرد الولايات المتحدة في السياسة الدولية، وفقدان مركز قوة قادر على استعادة التوازن الدولي الذي شكل ضماناً للاستقرار في العالم سنوات الحرب الباردة. ظهرت روسيا وريثة للدولة السوفيتية، التي كان حالها حال الكثير من الدول، ضحية نظام القطب الواحد في العالم، ناهيك عن استيائها من القرارات الأمريكية التي لم تأخذ المصالح الروسية الإستراتيجية في الحسبان، زد على ذلك سعي الولايات المتحدة لفرض هيمنتها على كل ما تعدّه روسيا مناطق ذات أهمية إستراتيجية لها، وافتقار روسيا الضعيفة في بداية

قيامها بوصفها دولة مستقلة لآليات وأدوات تمكنها من مواجهة التقدم الأمريكي. ولما كانت روسيا الحديثة وحدها عاجزة عن تشكيل مركز قوة مواز للمركز الأمريكي، كان لا بد من البحث عن حلفاء يعارضون أحادية القطب، وتشكل السياسة الأمريكية تهديداً لمصالحهم الحيوية والإستراتيجية. من هنا أتت الضرورة الموضوعية لتشكيل تحالفات إقليمية، وهذه هي الخلفية الرئيسية التي قامت عليها منظمة شنغهاي للتعاون.

أسست منظمة شنغهاي للتعاون عام ١٩٩٦ وعُرفت حينئذٍ باسم خماسي شنغهاي، ضمت المنظمة في البداية كلاً من روسيا والصين العملاقين في آسيا، فضلاً عن ثلاث دول من آسيا الوسطى وهي: كازاخستان وقرغيزستان وطاجيكستان. وفي عام ٢٠٠١ انضمت أوزبكستان إلى خماسي شنغهاي، الذي غير اسمه منذ ذلك الحين ليصبح (منظمة شنغهاي للتعاون)، وفتحت المنظمة أبوابها للراغبين من دول المنطقة للانضمام إليها. وعلى الرغم من عدم وجود تأثير يذكر لها في القرارات المهمة المتعلقة بالنزاعات الإقليمية والدولية، إلا أن العدد الأكبر من المحليين والمراقبين يرون أن هذه المنظمة تمتلك الكثير من المؤهلات الجيوبولتيكية التي قد تسهم في تحويلها إلى قوة دولية ذات تأثير. ومع انعقاد القمة العاشرة للمنظمة في مدينة بطرسبورغ الروسية في السابع من تشرين الثاني ٢٠١١ برزت من جديد الكثير من الأسئلة حول المنظمة وأهدافها والفرص المتاحة أمامها لتصبح قطباً دولياً "جديداً منافساً للقطب الأمريكي.

مشكلة البحث :

تنتطق مشكلة البحث من التساؤلات الآتية :ماهي منظمة شنغهاي للتعاون وما أهدافها ؟ ،وما المقومات الجيوستراتيجية للمنظمة التي تؤهلها لتكون قوة دولية ذات شأن في المستقبل المتوسط أو البعيد ؟. وما رؤية الدول الأعضاء للمنظمة ودورها المرتقب على الصعيدين الإقليمي والدولي ؟ ، وما المعوقات التي تقف بوجه تطور منظمة شنغهاي وتحويلها إلى قطب عالمي جديد ؟ ، وما المستقبل الجيوبولتيكي للمنظمة في ضوء المتغيرات السياسية الدولية ؟

فرضية البحث :

من خلال مشكلة البحث وما يترتب على دراسة الأهمية الجيوبولتيكية لمنظمة شنغهاي وأثرها في السياسة الدولية يمكن صياغة الفرضية الآتية : (تمتلك منظمة شنغهاي للتعاون العديد من المقومات الجيوستراتيجية التي تؤهلها لتكوين قطب دولي جديد منافس للزعامة الأمريكية في ظل نظام عالمي تعددي جديد) .

أولاً- منظمة شنغهاي : النشأة والأهداف

أسست منظمة شنغهاي للتعاون (Shanghai Cooperation Organization) عام ١٩٩٦ وعُرفت حينئذٍ باسم خماسي شنغهاي (The Shanghai Five) ، ضمت المنظمة في البداية كلاً من روسيا والصين العملاقين في آسيا، فضلاً عن ثلاث دول من آسيا الوسطى وهي: كازاخستان وقرغيزيا وطاجيكستان. وفي عام ٢٠٠١ انضمت أوزبكستان إلى خماسي شنغهاي، الذي تغير اسمه منذ ذلك الحين ليصبح (منظمة شنغهاي للتعاون)، وفتحت المنظمة أبوابها للراغبين من دول المنطقة للانضمام إليها. (١)

نشأ خماسي شنغهاي على إثر اجتماعات عديدة عقدت في منتصف التسعينيات بين لجان خبراء من الدول الخمس لحل الخلافات الحدودية والاتفاق على إجراءات ثقة في المجال العسكري لتخفيف التوتر في المناطق الحدودية ومن ثم توقيع اتفاقية بهذا الشأن. وقد توجت هذه الاجتماعات بعقد اجتماع قمة في مدينة شنغهاي الصينية في أبريل/ نيسان ١٩٩٦ أسفرت عن توقيع اتفاقية حول إجراءات الثقة في المجال العسكري ودشنت ميلاد الخماسي. وفي هذا الاجتماع تم الاتفاق على عقد اجتماعات قمة سنوية في عاصمة إحدى الدول الخمس فعقدت القمة الثانية في موسكو عام ١٩٩٧، كما استضافت الما أتا عاصمة كازاخستان القديمة وأكبر مدينة فيها اجتماع القمة الثالثة في عام ١٩٩٨ ، وشهدت القمة الرابعة التي عقدت في آب / أغسطس ١٩٩٩ في العاصمة القيرغيزية بشكيك جهوداً نحو توسيع نطاق مجموعة خماسي شنغهاي من مجرد الاقتصار على التنسيق لحل قضايا الحدود إلى توسيع نطاق التعاون في المجالات الأمنية الأخرى. (٢) وقد شكلت قمة بشكيك انعطافاً متميزاً في تطور الخماسي، إذ صدر عنها إعلان سمي بـ (إعلان بشكيك) ، رسم ملامح تطلعات إقليمية ودولية جديدة تجاوزت الأطر المعلنة لعمل الخماسي، واتضح فيها ملامح الأهداف الرئيسية التي تطمح المنظمة إلى تحقيقها، والتي يمكن تلخيصها فيما يأتي: (٣)

- تشير الأطراف إلى أهمية المقاومة الفعالة للإرهاب الدولي والاتجار بالمخدرات والسلاح والهجرة غير المشروعة وغيرها من أشكال الإجرام المنظم وظواهر الانفصال القومي والتطرف الديني.
- تولي الأطراف أهمية خاصة لحفظ السلام والاستقرار في المنطقة وتوיד جهود دول آسيا الوسطى الرامية إلى إنشاء منطقة خالية من السلاح النووي. وتدعم مبادرة رئيس كازاخستان نور سلطان نزار باييف حول عقد مؤتمر لبحث إجراءات الثقة في آسيا.

- تؤكد الأطراف تأييدها لمشروع رئيس قرغيزستان عسكر أكاييف بإحياء "دبلوماسية طريق الحرير" على مستوى التعاون الدولي المعاصر لصالح التطور الاقتصادي المستقر وتعزيز السلام والاستقرار في المنطقة.

- تشير الأطراف إلى أهمية التعاون الاقتصادي والتجاري على أساس مبادئ المساواة والمنفعة المتبادلة وتسعى إلى تنشيط البحث عن طرق توسيع التعاون متعدد الجوانب في هذا المجال. وتحقيقاً لهذا الغرض يتم تشكيل مجموعات عمل لإعداد التوصيات اللازمة في هذا الميدان لاجتماعات القمة المقبلة.

- أشارت الأطراف إلى المتغيرات التي طرأت على الوضع الدولي وارتأت أن تعلن ما يلي :

* الالتزام بالاحترام المتبادل لمبادئ السيادة ووحدة الأراضي والمساواة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية وتسوية الخلافات بين دول الخماسي عبر المباحثات والتشاور .

* دعم وتعزيز دور هيئة الأمم المتحدة بوصفها الآلية الأساسية لدعم السلام والأمن الدوليين وللتسوية السلمية للمشاكل الدولية والإقليمية. وتعارض الدول الخمس استخدام القوة أو التهديد باستخدامها في العلاقات الدولية بدون سماح من مجلس الأمن الدولي التابع لهيئة الأمم .

* التزام الأطراف الصارم بإحكام اتفاقية حظر انتشار السلاح النووي واتفاقية التحريم الشامل للتجارب النووية. وتسعى في إطار هيئة الأمم المتحدة وغيرها من المحافل متعددة الأطراف إلى دعم الجهود الرامية للانضمام الفوري وغير المشروط إلى هاتين الاتفاقيتين من قبل جميع الدول .

* ترى الأطراف أن تعدد الأقطاب يعد توجهاً عاماً لتطور العالم المعاصر ويسهم في تحقيق الاستقرار طويل الأمد للوضع الدولي. والدول الخمس تعترم بذل قصارى جهدها بهدف الدفاع عن السلام في العالم أجمع وعن الإنماء المشترك لخدمة قضية بناء نظام اقتصادي وسياسي دولي جديد عادل وعقلاني.

* تؤكد الأطراف أن التعاون المتبادل بين الدول الخمس ذو طابع مفتوح وليس موجهاً ضد دول أخرى.

وفي دوشنبه عاصمة طاجيكستان عقدت القمة الخامسة في ٥ يونيو / حزيران ٢٠٠٠ ، وحضرها الرئيس الاوزبكي إسلام كريموف كمراقب ، حيث لم تتضمن أوزبكستان عضواً كاملاً العضوية إلا عام ٢٠٠١ ، إذ كانت مترددة خشية أن يؤثر انضمامها للمجموعة في علاقاتها بالولايات المتحدة . وفي القمة السادسة المنعقدة في مدينة شنغهاي للمدة من ١٤ - ١٥ يونيو /

حزيران ٢٠٠١ ، تم توقيع إعلان إنشاء منظمة شنغهاي للتعاون بدلا" عن مجموعة شنغهاي للدول الخمس (خماسي شنغهاي) ، وذلك بعد انضمام أوزبكستان إليها بوصفها عضوا كامل العضوية. وبعد الإعلان عن إنشاء المنظمة تم توقيع معاهدة للدفاع المشترك ضد الإرهاب الدولي والتطرف الديني والحركات الانفصالية ، كما تم الاتفاق على إنشاء مركز إقليمي لمكافحة الإرهاب ، على أن يكون مقره في بشكيك عاصمة قيرغيزيا . (٤)

وفي يونيو / حزيران ٢٠٠٢ اجتمع رؤساء دول هذه المنظمة في سان بطرسبرغ (روسيا) حيث وقعوا على نظام المنظمة وقوانينها ومبادئها، وهيكلتها، وطرق عملها، وبذلك تم تأسيسها رسمياً وفق رؤية القانون الدولي ومبادئه. وقد نص الإعلان عن تأسيس المنظمة أنها وجدت لتحقيق الأهداف الآتية: (٥)

- تعزيز سياسات الثقة المتبادلة وحسن الجوار ما بين الدول الأعضاء .
- تطوير التعاون الفاعل بينها في السياسة والتجارة والإقتصاد، والعلوم والتكنولوجيا والثقافة، وفي شؤون التربية والطاقة والنقل والسياحة وحماية البيئة .
- العمل على توفير السلام والأمن والإستقرار في المنطقة .
- العمل على تطوير وتقدم الأفكار للوصول إلى نظام سياسي واقتصادي عالمي ديمقراطي، عادل وعقلاني متوازن.
- محاربة الجريمة المنظمة .

وقد جرى التركيز منذ التأسيس على أن الهدف المباشر لدول المنظمة هو مواجهة المخاطر التي تواجهها وأهمها: الإرهاب وحركات الانفصال في بعض أقاليمها، والتطرف الديني أو الإثني، كذلك تم التأكيد على محاربة تجارة المخدرات وتهريبها عبر حدودها، وفق آلية مشتركة بينها .

ثانياً - الثقل الجيوستراتيجي لمنظمة شنغهاي :

تملك منظمة شنغهاي للتعاون مقومات كثيرة تؤهلها لتكون في المستقبل القريب قوة دولية ذات شأن. فهي تشكل فيما بينها امتداداً جغرافياً وبشرياً دون أية فواصل، فضلاً عن القوة العسكرية لكل من روسيا والصين وكذلك الأمر بالنسبة للقوة الاقتصادية، ناهيك عما تملكه هذه الدول من ثروات طبيعية لها دور رئيس في حركة العجلة الصناعية في العالم بأسره .

تتكون منظمة شنغهاي للتعاون (SCO) من : (خارطة ١)

خارطة (١)

الدول الأعضاء والدول بصفة مراقب في منظمة شنغهاي للتعاون



المصدر : من عمل الباحث بالاعتماد على :

Source: Alyson J. K. Bailes, Pál Dunay, Pan Guang and Mikhail Troitskiy , The Shanghai Cooperation Organization , SIPRI Policy Paper, No. 17, Stockholm International Peace Research Institute , May 2007 , P.6.

- ست دول دائمة العضوية ، هي: روسيا، والصين، و طاجكستان، و فيرغيزستان، و كازاخستان وأوزبكستان .

- أربع دول تملك صفة «مراقب»، وتحضر الاجتماعات السنوية وهي: الهند، و إيران، و منغوليا وباكستان.

وتبرز الأهمية الجيوستراتيجية للمنظمة إذا ما علمنا أن مجموعة دول المنظمة الأساسية الست تغطي مساحة تبلغ (٣٠١٦٣٦٠٠ كم٢) ، ويسكنها أكثر من مليار ونصف المليار من البشر (رابع سكان العالم)،(جدول ١) ، أما إذا انضمت الهند وإيران والباكستان ومنغوليا إلى عضوية المنظمة فعندها يرتفع عدد السكان لدولها إلى حوالي (٣) مليار نسمة، أي نصف سكان العالم تقريباً على مساحة تصل إلى حدود (٣٧) مليون كم٢،(٦) وتشمل المنظمة أربع دول نووية (روسيا ، والصين ، والهند ، وباكستان) وأخرى على العتبة النووية (إيران) .(٧) وتستحوذ دول المنظمة على ما يقرب من (٢١.٤ %) من الاحتياطي العالمي المؤكد من النفط الخام عام ٢٠٠٨ ، و (٤٥ %) من الاحتياطي العالمي المؤكد من الغاز الطبيعي خلال العام نفسه.(٨) واللغتان الرسميتان للمنظمة هما: الروسية والصينية.

وتؤكد الدراسات إلى أن وجود منظمة شنغهاي وإلى جانبها معاهدة الأمن الجماعي(*) التي تضم أغلب دول منظمة شنغهاي للتعاون، يشير إلى نشوء صيغة جديدة لتوازنات القوى الدولية . فمنظمة شنغهاي ومعاهدة الأمن الجماعي يسيطران على المسرح الدولي الاستراتيجي الشرقي بينما تسيطر منظمة حلف شمال الأطلسي على المسرح الدولي الاستراتيجي الغربي.فضلاً" عن إن منظمة شنغهاي للتعاون ومعاهدة الأمن الجماعي تملكان القدرة على الردع النووي في مواجهة منظمة حلف شمال الأطلسي، ناهيك عن الإمكانيات الاقتصادية لدول منظمة شنغهاي، فالولايات المتحدة الأمريكية وبعد الأزمة الاقتصادية العالمية أصبحت أكثر حاجة إلى الصين التي لها موجودات هائلة في السندات المالية الأمريكية، وهي إذا ما ما سيّلت هذه الموجودات فإنها تصيب الاقتصاد الأمريكي بتداعيات كارثية ،ولاسيما إن الأزمة الاقتصادية العالمية التي لا تزال ترزح تحتها والتي لا يبدو أن آفاق حلها متيسر ، فقد صرّح نائب الرئيس الأمريكي جو بايدن إن رئيسه أوباما اخطأ في تقدير حجم الأزمة الاقتصادية.**)

جدول (١)

البيانات الأساسية للدول الأعضاء في منظمة شنغهاي للتعاون لعام ٢٠٠٥

البيانات الدولة	المساحة (كم ^٢)	السكان مليون نسمة	الناتج المحلي الإجمالي (بليون دولار أمريكي)	نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي (دولار أمريكي)	الإنفاق العسكري (مليون دولار أمريكي)
الصين	٩٥٧٢٩٠٠	١٣١٥.٨	٢٢٤٤	١٧١٥	٤٤٣٠٠
كازاخستان	٢٧٢٤٩٠٠	١٤.٨	٥٧	٣٧٨٦	٥٩٢
قرغيزستان	١٩٩٩٠٠	٥.٣	٢	٤٧٧	٧٦
روسيا	١٧٠٧٥٤٠	١٤٣.٥	٧٦٤	٥٣٢٣	٣١١٠٠
طاجيكستان	١٤٣١٠٠	٦.٥	٢	٣٦٤	٠٠
اوزبكستان	٤٤٧٤٠٠	٢٦.٦	١٤	٥٢١	٠٠

Source: Alyson J. K. Bailes, Pál Dunay, Pan Guang and Mikhail Troitskiy , The Shanghai Cooperation Organization , SIPRI Policy Paper, No. 17, Stockholm International Peace Research Institute , May 2007 , P.6.

ثالثاً - رؤية الدول الأعضاء لمنظمة شنغهاي ودورها المرتقب على الصعيدين**الإقليمي والدولي :**

إنشاء منظمة شنغهاي للتعاون يحقق مصالح مشتركة بين الدول الأعضاء ، فقد جاءت استجابة للظروف الجيوسياسية والجيواقتصادية للدول الأعضاء التي تتمثل بصورة أساسية في التعاون الاقتصادي والأمني. وفي ظل اختلاف ظروف هذه الدول فإن مصالحها تختلف في إطار المنظمة. وهو من الضروري أخذه في الاعتبار عند استعراض مواقف الدول الأعضاء من أهداف المنظمة وبرامجها المعلنة :

١- روسيا الاتحادية :

تعد عضوية روسيا في المنظمة نتيجة طبيعية للاتفاقات الروسية الصينية حول الحدود كما أنه يعد امتداداً طبيعياً لعلاقة الشراكة الإستراتيجية بين الصين وروسيا. فالمصلحة الأساسية لروسيا في المنظمة هي حماية مصالحها القومية ومن وجهة النظر الروسية فإن الاتجاه نحو الجنوب يأتي أولاً ، حيث تجتمع المشاكل الروسية في منطقة القوقاز وآسيا الوسطى معاً. فأحد الأسباب المهمة لاستمرار الأزمة الشيشانية بدون حل هو الدعم الذي يحصل عليه المقاتلون الشيشانيون من خارج روسيا سواء كان دعماً مادياً أو بشرياً أو عسكرياً. وذلك بجانب تجارة المخدرات في أفغانستان التي تتدفق لروسيا التي تعد قناة لتجارة المخدرات لأوروبا، فضلاً عن تجارة الأسلحة. لو أن هذه القضايا لم تحل أو لم يتم التحكم فيها بنجاح فإن الأمن القومي الروسي يواجه مشاكل تتسم بطبيعتها الممتدة كما أنها صعبة الحل في المدى القصير ، والأكثر من ذلك فإن روسيا غير قادرة على حلها بمفردها. ومن ثم فإن آليات مثل منظمة شنغهاي للتعاون ومعاهدة الأمن الجماعي لرابطة الدول المستقلة في آسيا الوسطى يمكن أن يكون لها دور. فمنظمة شنغهاي للتعاون هي آلية إقليمية للتعاون تهدف أساساً إلى حل قضايا الحدود ويمكن أيضاً أن يكون لها دور في محاربة التطرف والإرهاب وتجارة المخدرات في آسيا الوسطى. حيث تنظر روسيا لمنطقة آسيا الوسطى كالفناء الخلفي لها، ومن ثم تنظر لامتداد الناتو والتواجد الأمريكي بالمنطقة على أنه تهديد لمكانتها في المنطقة، ومن ثم فالمنظمة تعد دفاعاً ضد هذا التوسع وتثبيتاً لوضعها بالمنطقة. ومنع دول المنطقة من الاتجاه نحو الولايات المتحدة الأمريكية والناتو. (٩)

ولكون منظمة شنغهاي للتعاون منظمة إقليمية حديثة الظهور في آسيا ولديها إمكانيات لبناء نفسها لتصبح المنظمة الأقوى تأثيراً في المنطقة ، فان انضمام روسيا إلى المنظمة يمكن أن يصبح أحد الطرق المهمة للمشاركة في الشؤون الآسيوية ومن ثم فعدم انضمامها يعنى حرمانها من هذه الإمكانية.(١٠)

٢- الصين :

تتمتع منظمة شنغهاي للتعاون ، من وجهة نظر الصين ، بأهمية إستراتيجية متعددة الجوانب : فعلى الصعيد الأمني : تتمثل المصالح الأمنية للصين في المنظمة في مستويات ثلاثة: الأولى هي ضمان التكامل الإقليمي للصين ووحدة أراضيها، والثاني هي منع الجريمة عبر الحدود والاستقرار على الحدود الشمالية والشمالية الغربية للصين، والثالث هو تعزيز الأمن في منطقة الحدود وخلق بيئة أمنية ملائمة. فضمن التكامل الإقليمي للصين ووحدة أراضيها هي الشاغل الأساسي للصين وهو ما يواجه تهديداً من الإرهاب والحركات الانفصالية والتطرف. وبالنسبة للصين فإن التهديدات الثلاثة تظهر بصورة أساسية في الأنشطة الانفصالية في إقليم شينجيانغ الصيني .(١١) أما على الصعيد الاقتصادي : فمنظمة شنغهاي للتعاون تحقق مصالح اقتصادية هامة للصين خاصة في مجالات الطاقة كالنفط والغاز ، فالطاقة مكون أساسي للتطوير الاقتصادي طويل المدى للصين. وضمن توفير الطاقة قضية إستراتيجية تؤدي دوراً مهماً في مستقبل الأمن الاقتصادي للصين. وآسيا الوسطى واحدة من أهم مصادر الطاقة في العالم ، أضف إلى ذلك يسر نقل موارد الطاقة من تلك المنطقة للصين المناخمة لها ، ناهيك عن إن ثمة علاقات وثيقة تربط الصين بها . ومن ثم إذا استطاعت الصين أن تجعل آسيا الوسطى هي موردها الأساسي للطاقة التي تحتاجها من خلال منظمة شنغهاي للتعاون فهذا سوف يكون نجاحاً كبيراً بالنسبة لها.(١٢)

وتمثل منظمة شنغهاي للتعاون على الصعيد السياسي أهمية للصين ، من ناحيتين : الأولى ، تشكل المنظمة قناة للتعاون الصيني مع دول آسيا الوسطى ولزيادة تأثيرها في المنطقة ،بالنظر لوضع منطقة آسيا الوسطى وأمنها القومي وأمن الطاقة بها فإن الصين بحاجة لتقوية وتوسيع وجودها بنبات في المنطقة. فآسيا الوسطى قريبة جغرافياً للصين ولديها اتصالات مباشرة معها تاريخياً. لكنها كانت جزءاً من الإمبراطورية الروسية والاتحاد السوفيتي السابق لما يزيد عن مائة عام. وأن الدول المستقلة ظهرت فقط منذ مطلع التسعينيات ، لذا فإن العلاقات المباشرة بين الصين ومنطقة آسيا الوسطى مازالت حديثة. فمنظمة شنغهاي للتعاون يمكن أن توفر إطاراً مميزاً للتعاون

بين الصين ودول آسيا الوسطى. وعليه ، يمكن للصين أن تطور تعاوناً طويلاً المدى ومستمرًا مع دول آسيا الوسطى في المجالات السياسية والأمنية والاقتصادية والإنسانية كافة . ومن خلال مثل هذا التعاون يمكن للصين أن تستأنف وتطور علاقات قوية مع دول آسيا الوسطى . أما الناحية الثانية فتتمثل في إن منظمة شنغهاي للتعاون يجب أن تكون آلية للتعاون بين الصين وروسيا . فلكلا الدولتين مصالح حيوية في آسيا الوسطى. فبالنسبة لروسيا تعد منطقة آسيا الوسطى الفناء الخلفي بالنسبة لها. فهي تحتل مكانة مهمة في سياسة روسيا الخارجية، وبعد وصول بوتين للسلطة (آذار / مارس ٢٠٠٠) قررت روسيا استعادة وضعها الخاص في آسيا الوسطى. أما بالنسبة للصين فهي تشترك مع دول آسيا الوسطى في حدود تصل إلى سبعة آلاف كيلو متر ، لذا فالصين بحاجة إلى تطوير علاقات قوية مع دول المنطقة وزيادة نفوذها بها. ومن غير المستبعد أن تتلاقى المصالح الروسية والصينية في آسيا الوسطى. وفي هذا الإطار فإن عدداً من المحللين وخاصة الغربيين يعتقدون أن آسيا الوسطى سوف تكون مجالاً " جيوبوليتيكياً" للتنافس بين روسيا والصين حيث يمكن أن تتعارض مصالح الطرفين بالمنطقة. ولهذا السبب فإن الدولتين بحاجة للتعاون لتجنب إمكانية التنافس بينهما في المنطقة. لذا فمنظمة شنغهاي للتعاون وفرت آلية لتوازن المصالح الروسية والصينية في هذه المنطقة الحساسة ، فالدولتان يمكن أن تقللا أو تتجنبا تناقض المصالح وأن تحققا النجاح في تعاونهما في إطار المنظمة. (١٣)

أما على الصعيد الدولي ، تتفق الدولتان الكبيرتان في منظمة شنغهاي على ضرورة سيادة نظام دولي متعدد الأقطاب، سمته الأساسية ديمقراطية العلاقات الدولية، حيث هدفت الدولتان إلى رفض سياسة الأحادية القطبية، مع ضرورة العمل على تشكيل نظام دولي جديد يتسم بتعدد الأقطاب، ويعكس التنوع الثقافي والاجتماعي وتعدد النظم السياسية فيه، في إطار من التعاون وتبادل المنافع والعمل معاً من أجل احتواء مصادر التهديد الجديدة التي فرضت نفسها على العالم، مع الحرص على الاستمرار في لعب دور عالمي متزايد في القضايا الدولية والإقليمية ، وذلك عن طريق العديد من الآليات، منها اتخاذ مواقف أكثر مرونة تجاه القضايا الدولية التي تتبنى فيها الولايات المتحدة موقفاً "متشدداً"، خاصة أن السياسات الأمريكية تدور في فلك مصالحها الخاصة، الأمر الذي يؤدي دائماً إلى معارضة الرأي العام الدولي لها، وكذلك أيضاً" عن طريق اتخاذ مواقف معارضة للولايات المتحدة في مجلس الأمن، وعدم جعله أداة طيعة في يد واشنطن لتغليب سياستها العدوانية تجاه العديد من الدول وإكسابها الشرعية الدولية، أو لمنع إصدار قرارات تؤثر بالسلب على مصالح

الدولتين أو حلفائهما والأمثلة كثيرة، ولكن المثال البارز هو الموقف تجاه الأزمة النووية لكوريا الشمالية، فعندما طرحت الولايات المتحدة إمكانية توجيه ضربات استباقية لكوريا الشمالية، أثار التصعيد النووي من جانبها، إلا أنها فشلت في استصدار قرار من مجلس الأمن يتيح لها ذلك بسبب رفض كل من الصين وروسيا ولم يجد مجلس الأمن بداً من الاكتفاء بالقرار رقم (١٦٩٥) بإدانة التجارب الصاروخية، ومطالبة كوريا بوقف تلك التجارب وتعليق كل الأنشطة المتعلقة ببرنامجه الصاروخي، والعودة إلى المحادثات السداسية دون شروط. (١٤)

٣- كازاخستان :

المصالح الأمنية، لاسيما تحقيق الأمن على الحدود، هي الهدف الأساس لكازاخستان في المنظمة. فكازاخستان التي تتسم بكبر مساحتها (٢,٧٢٤,٩٠٠ كم٢) إلا أن عدد سكانها محدود نسبياً (١٦,١٩٦,٨٠٠) نسمة عام ٢٠١٠، تشترك مع دول جوارها الجغرافي في حدود تصل إلى (١٢٠١٢ كم) (١٥) وعليه، فإن كازاخستان تنظر إلى المنظمة بأهمية خاصة لدورها في الأمن على الحدود بينها وبين دول جوارها الجغرافي حيث تعتقد أن الدور الأساسي للمنظمة هو حل قضايا الحدود. كما أنها نجحت في تحقيق الأمن في منطقة الحدود. وفي كلمته في الاحتفال بتأسيس المنظمة أكد الرئيس الكازاخستاني (نور سلطان نازارباييف) على تلك الأهمية الخاصة للمنظمة في حل قضايا الحدود. (١٦)

وبالمقارنة مع باقي دول آسيا الوسطى الأخرى، فإن كازاخستان هي الأقل معاناة من الإرهاب والحركات الانفصالية والتطرف بالمنطقة. ومع هذا فإن التهديد من محاور الشر الثلاثة بالنسبة لها يمثل خطراً شديداً. فتطور الأحداث جعلها تشعر بأنها لا يمكن أن تظل بعيدة عن أمن منطقة آسيا ككل. فكازاخستان تأمل أن تؤدي المنظمة دوراً مميزاً في مكافحة الإرهاب والتطرف والحركات الانفصالية. فهي تطبق سياسة خارجية متوازنة وتسعى للحفاظ على علاقاتها التعاونية مع القوى الكبرى وذلك من أجل تحقيق مصالحها الدبلوماسية والسياسية. لذا فإن المنظمة يمكن أن توفر وسائل توازن لكازاخستان. فهذه الدول غنية باحتياطي النفط والغاز كما أن الاتصالات بين دول آسيا الوسطى وروسيا وأوروبا تمر عبر أراضيها. وهذه الاتصالات يمكن أن تحقق مصالح ضخمة للبلاد. لذا فهي تعلق آمالاً كبيرة على التعاون الاقتصادي في إطار المنظمة. (١٧)

٤- أوزبكستان :

لم تطبق أوزبكستان بعد استقلالها في الحادي والثلاثين من آب/ أغسطس ١٩٩١ التوازن في سياساتها الخارجية بل ركزت على الابتعاد عن روسيا والاقتراب أكثر من الولايات المتحدة الأمريكية. فهي لم تكن راغبة في الانضمام للمنظمات الإقليمية في آسيا الوسطى تحت قيادة روسية . فقد كانت عضواً في المعاهدة الأمنية الجماعية لرابطة الدول المستقلة إلا أنها انسحبت منها بعد ذلك. ومنذ عام ٢٠٠٠ بدأت أوزبكستان في موازنة سياستها الخارجية واتجهت لتحسين علاقاتها مع روسيا وأخذ موقف إيجابي للمشاركة في أنشطة المنظمة.(١٨) وفي عام ٢٠٠٠ حضر الرئيس الأوزبكي إسلام كريموف اجتماعات قمة خماسي شنغهاي بوصفه عضواً مراقباً وذلك لأول مرة. وفي عام ٢٠٠١ أصبحت عضواً كامل العضوية. ويبدو أن هناك هدفين لأوزبكستان للانضمام للمنظمة:(١٩)

- الأول هو السعي لتحقيق ضمان أمني أكثر، فأوزبكستان اعتمدت في الماضي على التعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية لتحقيق أمنها لكن الحوادث الإرهابية التي هددت رئيسها في فبراير/ شباط ١٩٩٩ والهجوم على منطقة حدودها في ربيع وصيف ٢٠٠٠ صدم أوزبكستان بشدة. فهي تشعر بخطر تلك التهديدات لاسيما في ظل نقص قدراتها الدفاعية كما تدرك أن العلاج البطني لن يكون كفيلاً في حال وجود خطر فعلي . فأوزبكستان تعتقد أن حركة تحرير الأوزبك والطالبان في أفغانستان هي أكبر تهديد لأمنها ، فهي لا تستطيع التعامل مع تلك التهديدات بمفردها وهي تحتاج إلى أن تبحث عن طريق آخر ومنظمة شنغهاي للتعاون هي هذا البديل.

- أما الهدف الثاني فهو أن أوزبكستان تعد من أكبر دول آسيا الوسطى من حيث عدد السكان حيث يصل عدد سكانها إلى إجمالي عدد سكان باقي دول آسيا الوسطى مجتمعة. ومستواها التصنيعي مرتفع، لذلك فهي لديها رغبة قوية في احتلال وضع دائم في المنطقة وتعتقد أن أمن المنطقة لن يتحقق بدون مشاركتها. ومن ناحية أخرى فإن تطوير منظمة شنغهاي في السنوات الأخيرة، أظهر أن تلك المنظمة لديها تأثير متزايد في منطقة آسيا الوسطى وربما تصبح المنظمة الأكثر أهمية بالمنطقة. لذلك فلو إن أوزبكستان رفضت الانضمام لتلك الآلية فإنها تواجه احتمالية انفصالها عن عدد من القضايا المهمة في آسيا الوسطى التي لن تكون مرغوبة لتطوير وضعها وتأثيرها في المنطقة. ومن ثم فانضمامها للمنظمة مهم لتحقيق أهدافها في المنطقة.

٥- قيرغيزستان و طاجيكستان :

هناك تشابه بين الدولتين فكلاهما دولة صغيرة يصل عدد سكانها إلى حوالي خمسة ملايين نسمة لكل منهما، واقتصاد متخلف، وشعب فقير . ففي عام ١٩٩٩ وصل الناتج المحلي الإجمالي في قيرغيزستان (١.٦) مليار دولار مع انخفاض ملحوظ في متوسط الدخل الفردي السنوي بلغ (٣٢٥) دولاراً ، في حين أن الناتج المحلي الإجمالي في طاجيكستان كان (١.١) مليار دولار مع متوسط للدخل الفردي بلغ (١٧٣.٨) دولاراً . كلتا الدولتين لديها قدرة عسكرية محدودة، حوالي (٩) آلاف جندي فقط في قيرغيزستان و (٦) آلاف في طاجيكستان ، وقدراتهما الدفاعية محدودة. طاجيكستان تشترك مع أفغانستان في حدود تصل إلى ١٠٠٠ كم، وغير قادرة على صيانة أمن حدودها بمفردها حيث توجد قوات روسية في طاجيكستان لتوفير الحماية لها . على الرغم من إن قيرغيزستان لا تملك حدوداً مشتركة مع أفغانستان مباشرة ، بيد أن وادي فرغانة في قيرغيزستان هو أرض خصبة للتهديدات الثلاثة (الإرهاب – النزعة الانفصالية – التطرف) ، فبعض الإرهابيين الأجانب والمنشقين عن الحكومة المحلية استخدموا هذا الوادي بمثابة قاعدة مهمة للتدريب و التحريض والتمويل للتهديدات الثلاثة المذكورة أعلاه.(٢٠)

قيرغيزستان وطاجيكستان تواجهان تهديداً خطيراً من محاور الشر الثلاثة لاسيما في ظل ضعف قواتهما المحلية. وبالنسبة للدولتين فإن منظمة شنغهاي للتعاون يمكن أن توفر ضماناً فعالاً لأمنهما القومي، فهي إطار أممي لكليهما ، وفي هذا الإطار فهما أصبحتا جزءاً من الأمن الجماعي لمنظمة شنغهاي للتعاون التي تعهدت بمساعدتهما على حماية أمنهما القومي ضد قوى الشر الثلاثة. لذا فليس من سبيل الصدفة اقتراح قيرغيزستان أن يكون مقر المركز الإقليمي لمكافحة الإرهاب في العاصمة القيرغيزية بيشكيك. لذا فمنظمة شنغهاي للتعاون طريق ملائم بالنسبة لقيرغيزستان وطاجيكستان بوصفها دول ضعيفة لتحقيق التنمية الاقتصادية وتحسين علاقاتها الثنائية وتحسين وضعهما الدولي. لذا فإن الدولتين اتخذتا اتجاهاً "إيجابياً" في تطوير المنظمة .

رابعاً - معوقات تطور منظمة شنغهاي للتعاون وتحولها إلى قطب عالمي جديد:

هناك العديد من المعوقات التي تقف بوجه تطور منظمة شنغهاي وتحولها إلى قطب عالمي جديد ، يمكن أن نذكر أبرزها ، بالاتي :

١- التنافس الصيني- الروسي على النفوذ في منظمة شنغهاي :

بينما تتكاتف روسيا والصين في حرب واحدة تهدف إلى توجيه أنابيب النفط والغاز شرقاً نحو الصين ومواجهة الهيمنة الأمريكية في آسيا الوسطى والقوقاز، فهذه المنطقة تعتبر جزءاً من المجال الحيوي لروسيا، كما تشترك الصين مع دولها في حدود تصل إلى سبعة آلاف كيلومتر، فإنهما تواجهان كثيراً من المشاكل. فضلاً عن ضعف الثقة المتبادلة بين الدولتين والناבעة من تجارب تاريخية ومواجهات عسكرية، والتقارب الروسي- الهندي، والتنافس الخفي بينهما للسيطرة على آسيا الوسطى، تبرز مشكلة الخلل الديمغرافي بينهما بوصفها خطراً محتملاً. ففي كتابه " العلاقات الروسية- الصينية.. تقارب أم تضارب " يفسر شيرمان غارنيت (Sherman W. Garnett) ذلك الخلل بمقارنة الوضع على الحدود في شرق سيبيريا، فعلى الجانب الروسي يعيش ثمانية ملايين نسمة في مساحة تزيد عن ستة ملايين كم^٢، في حين يعيش على الجانب الصيني (١٣٠) مليون نسمة - يعانون البطالة والفقر - في مساحة لا تصل إلى مليوني كم^٢. وعليه، فالسكان الصينيون ينفسون عن ضيق حالهم بالهجرة غير المشروعة إلى أرض غنية بالموارد قليلة السكان على الجانب الروسي، وهو ما يخلق ظاهرة يسميها القوميون الروس (احتلالاً صينياً صامتاً) للمناطق الشرقية من روسيا ستنصل بالعلاقات بين موسكو وبكين إلى حد المواجهة.(٢١)

وفي ظل تلك الظروف، فإن هناك احتمالين بالنسبة للعلاقات الروسية - الصينية وهما إما زيادة التعاون أو زيادة التنافس بينهما. فلو أن الصين وروسيا أصبحتا أكثر تنافساً في منطقة آسيا الوسطى، فهذا سوف يؤدي دوراً سلبياً في عملية تطوير منظمة شنغهاي. لذا فمن المهم بالنسبة لدول المنظمة السعي للارتقاء بمستوى التعاون والسيطرة والتحكم في العوامل المقيدة للتعاون وجعل التعاون هو السمة السائدة في علاقات الدولتين في المنطقة.

٢- التحرك الأمريكي والغربي المضاد :

في ظل التنافس الدولي بين القوى الكبرى للهيمنة والنفوذ على منطقة آسيا الوسطى، فإن معظم دول المنطقة اتجهت لإتباع سياسة خارجية متوازنة قوامها تطوير العلاقات مع كل القوى الكبرى بطريقة متوازنة. فدول آسيا الوسطى تحتفظ بعلاقات تعاونية مع حلف الناتو والولايات المتحدة في المجالات الأمنية والسياسية، فمثلاً كل من تركمانستان وكازاخستان وقرغيزستان وأوزبكستان أعضاء في برنامج الناتو للمشاركة من أجل السلام. وفي أبريل / نيسان ٢٠٠١ انضمت طاجيكستان

هي الأخرى لهذا البرنامج. ومنذ عام ١٩٩٦ بدأت دول آسيا الوسطى في الدخول في تدريبات عسكرية مشتركة مع الولايات المتحدة وحلف الناتو ، ومن أكثر التدريبات تأثيراً عملية حفظ السلام لعام ١٩٩٧ حيث أرسلت الولايات المتحدة (٥٠٠) جندي أمريكي بالمظلات إلى آسيا الوسطى، وتم إجراء مناورة حفظ السلام في عام ٢٠٠٠ بمشاركة (١٠) دول ، وارتكزت التدريبات العسكرية المشتركة والتعاون بين دول آسيا الوسطى وحلف الناتو والولايات المتحدة بصورة أساسية على مكافحة الإرهاب وحفظ السلام.(٢٢)

لكن وفي إطار أعمق، فإن الوجود العسكري الأجنبي في منطقة آسيا الوسطى ربما يثير النزاع بين القوى الإقليمية الكبرى في المنطقة. وفي غضون ذلك فإن برنامج المشاركة من أجل السلام في الحقيقة هو شكل من أشكال توسيع الناتو. لذا فإن التعاون العسكري بين دول آسيا الوسطى وحلف الناتو ربما يؤثر سلباً على التعاون الأمني في إطار منظمة شنغهاي للتعاون .

وفي إطار التنافس الدولي على المنطقة، كان من الطبيعي أن تدفع توازنات القوى إلى ظهور محاور، هدفها تعزيز فرص المتدخلين في كسب السباق ، فالدول التي تبحث عن أعلى العوائد وجدت أن عليها التنسيق مع فاعلين آخرين، وهو ما نشأت بسببه تحالفات وتحالفات مضادة، أبرزها محور روسي - صيني تعبر عنه منظمة شنغهاي للتعاون، الذي تنسق معه إيران بانتظام، مقابل محور آخر أمريكي ينسق مع عدد من دول الاتحاد الأوروبي والناتو، وأحياناً مع تركيا، وكثيراً مع إسرائيل وهذا لا ينفي بطبيعة الحال أن التنافس يحدث أيضاً داخل كل محور ومن هنا، يأتي تعبير - المباراة الكبرى - الذي يشيع لوصف التنافس الدولي الجاري على المنطقة ، فهي بالفعل مباراة مركبة تتنافس فيها الدول نفسها التي تتعاون مع بعضها، مثل روسيا والصين، وتتعاون في ظلها الدول نفسها التي تتنافس ضد بعضها، كما هو الحال بالنسبة لتركيا وإيران، (٢٣) وهي تقلبات تحتملها المصالح وتفرضها تقديرات اللاعبين للإستراتيجية المثلى لنجاح محاولاتهم للسيطرة على المنطقة، وهي محاولات ليست سهلة أو مضمونة، لأن المنطقة وإن كانت حبيسة جغرافياً، فإن السيطرة عليها منذ نهاية الحرب الباردة أقرب إلى محاولة الإمساك بالزئبق ، فآسيا الوسطى اليوم - كما كانت دوماً عبر التاريخ - تمثل - ثقب العالم - ، وذلك وفقاً لتشبيه الباحث في شؤون التنمية (أندريه جوندر فرانك Andre Gunder Frank) ، (٢٤) فهي تشد إليها بموقعها ومواردها قوى كبرى، تحملها على التزاحم عليها والتنافس من أجلها، ثم بعد ذلك تدفعها بقسوتها بعيداً عبر هذا الثقب الجغرافي الكبير لتدخل قوى أخرى جديدة.

وعليه، تعمل واشنطن على خلق منظمة (٥ + ٢) في آسيا الوسطى بديلاً لمنظمة شنغهاي لتحقيق أهدافها التكتيكية والإستراتيجية حيث تضم كذلك أوزبكستان وطاجيكستان وقرغيزستان وكازاخستان وتركمنستان، كلاً من أفغانستان وباكستان كي تضغط على كل من الصين وروسيا وإيران من أجل تقوية تأثيرها على بحر قزوين حيث الأخير يزخر بالثروات النفطية وبالغاز وبالمعادن النفيسة أيضاً. بعبارة أخرى تريد واشنطن عبر هذه المنظمة البديلة (٥ + ٢) حضوراً سياسياً وعسكرياً وأمنياً واقتصادياً يلغي أو يحجّم الدور الروسي والصيني المتعاضدين، كما يعينها ويهمها الأشراف على مشاريع النفط القزويني الذي تستثمر فيه شركاتها الكبرى لنقله عبر أفغانستان المحتلة أمريكياً أو عبر جورجيا التي صارت مرتكزاً "أممياً لواشنطن في القوقاز .

٣- بروز الصراع الأمريكي الروسي حول ترسيخ الوجود العسكري في المنطقة :

من المعلوم إن آسيا الوسطى تشكل حلقة وصل بين القارتين الأوروبية والآسيوية ، حيث تعد الجبهة الأمامية للتوسع الاستراتيجي الأمريكي ، في الوقت الذي تعد فيه أيضاً " النقطة الحيوية الكفيلة بتنفيذ إستراتيجية الدفاع الروسية..، وعليه فإن إي طرف من الطرفين يسبق الآخر في التمركز عسكرياً" يستطيع السيطرة على هذه المنطقة الحيوية والإستراتيجية من العالم .

وفي السنوات الأخيرة بدأت الولايات المتحدة الأمريكية تمركز قواتها العسكرية تدريجياً في المنطقة ، فبعد إقامة قواعد عسكرية لها في كل من قيرغيزستان وأوزبكستان ، ذهبت في السنوات الأخيرة إلى توسيع وإعادة بناء المطارات والمرافق العسكرية في هاتين الدولتين ، وتمديد مدة سريان عقود استئجارها ، كما عملت على أغراء الحكومة الطاجيكية من خلال تقديم المعونات الاقتصادية والعسكرية لدفعها إلى إبطال اتفاقية التعاون المبرمة بينها وبين قوات الحدود الروسية ، وتصطنع العقبات لإرباك روسيا في بناء قواعد عسكرية لها في طاجيكستان ، ويلاحظ أن النفوذ العسكري الأمريكي اخذ يتوسع ويمتد باتجاه بحر قزوين . أما روسيا التي تدرك جيداً مدى خطورة التمركز العسكري الأمريكي في المنطقة ، اتخذت بالمقابل خطوات وإجراءات مضادة ، حيث بنت ولأول مرة قواعد عسكرية لها خارج حدودها في جمهورية قيرغيزستان على الرغم من تطبيقها لإستراتيجية التقليل على النطاق العالمي .. ، هذا وقد توصلت إلى حل للمشاكل المزمنة بشأن القواعد العسكرية في طاجيكستان في إطار عدد من الاتفاقيات أبرمت بين الدولتين ، وتم تسوية الخلافات القائمة بينهما بشكل مرضى حول محطات الرادار التي تتصف بأهمية إستراتيجية لروسيا إذ تعد " نافذة الفضاء الروسي " . أما في مجال التعاون المتعدد الأطراف ، فإن روسيا تسعى إلى

ترسيخ معاهدة الأمن الجماعي كآلية أمنية لهذا التعاون ، إلى جانب تكثيف المناورات العسكرية المشتركة مع دول آسيا الوسطى ، وتقديمها لإجراءات تحفيزية وتشجيعية في مجال شراء الأسلحة الروسية ..، كما تجدر الإشارة هنا إلى أن كلا من أمريكا وروسيا تتنافسان على المنطقة من خلال تكثيف الاتصالات العسكرية وتنظيم دورات تأهيل الكوادر والكفاءات العسكرية مع دولها.(٢٥)

وبلا شك ، فإن الصراع الأمريكي الروسي لتعزيز التواجد العسكري في منطقة آسيا الوسطى سيعزز الانقسامات بين دول منظمة شنغهاي بين مؤيد لهذا التواجد وبين معارض له ، مما سيترك أثرا " سلبيا" على الجهود التي تبذلها روسيا والصين لتحويل المنظمة إلى حلف عسكري على غرار حلف الناتو .

٤- صعوبة التنسيق بين آليات التعاون المختلفة في آسيا الوسطى :

توجد آليات عديدة للتعاون في منطقة آسيا الوسطى تحت مسميات عدة كبرنامج الشراكة من أجل السلام، وجوام، والجماعة الاقتصادية الأوروآسيوية، ومعاهدة الأمن الجماعي لرابطة الدول المستقلة التي تقوم بوظائف تتعدى وظائف منظمة شنغهاي للتعاون . ففي ١٥ مايو / أيار ١٩٩٢ وقعت كل من روسيا وأوزبكستان وأرمينيا وطاجيكستان وكازاخستان وقيرغيزستان معاهدة الأمن الجماعي لرابطة الدول المستقلة. وبعد ذلك انضمت للمعاهدة كل من بيلاروسيا وجورجيا وأذربيجان التي أصبحت نافذة منذ ٢٠ أبريل ١٩٩٤ ولمدة خمس سنوات. وبعد نهاية مدة الاتفاقية في ٢٠ أبريل/نيسان ١٩٩٩ لم توقع كل من جورجيا وأوزبكستان وأذربيجان على اتفاق تمديد المعاهدة مما يعني انسحابهم منها. والآن يوجد (٦) دول مشاركة في الاتفاقية والآلية الأهم في هذه الاتفاقية هي مجلس الأمن الجماعي والمكون من رؤساء الدول الأعضاء ووزراء خارجيتها ووزراء الدفاع بها. أما أجهزتها الاستشارية، فهي مجلس وزراء الخارجية ومجلس وزراء الدفاع ويأتي تحتها اللجنة المشتركة لرؤساء الأركان. وتتركز المهام في المرحلة الأولى من المعاهدة على تشكيل قوات مسلحة، وأدوات للتموين والمعاونة. وفي عام ١٩٩٥ اتفقت الدول الموقعة على إنشاء نظام دفاع جوي مشتركاً". وترتكز أهداف المرحلة الثانية على تشكيل آلية للأمن الإقليمي. وفي ٢٥ مايو / أيار ٢٠٠١ اجتمع رؤساء الدول الأعضاء في المعاهدة في أريفان (Erivan) وقرروا تشكيل قوات استجابة سريعة وخططوا لوضع قوات مشتركة في آسيا الوسطى.(٢٦) وبناء على روح هذا الاجتماع فإن التركيز الأساسي كان منصبا" على مكافحة الإرهاب. هذا يظهر أن معاهدة الأمن المشترك تتشابه في الوظائف بل وتتعدى وظائف منظمة شنغهاي للتعاون فضلا عن أن أعضاءها

الأساسيين هم أعضاء في منظمة شنغهاي للتعاون لكن مستواها التعاوني في المجال الأمني يفوق منظمة شنغهاي للتعاون بكثير ومن ثم فإن تركيز منظمة شنغهاي للتعاون في المجال الأمني يجب أن يركز على كيفية التنسيق بين هاتين الآليتين من أجل إكمال بعضهما بعضاً بدلاً من التناقض بينهما.

خامساً - المستقبل الجيوبولتيكي لمنظمة شنغهاي :

هل تتحول منظمة شنغهاي للتعاون في مسارها إلى قوة تواجه حلف الناتو ؟ هذا هو السؤال المهم الذي شغل الأوساط الأمريكية خلال انعقاد اجتماع مجلس رؤساء حكومات دول منظمة شنغهاي للتعاون، التي تحتفل بالذكرى العاشرة لتأسيسها، في مدينة بطرسبورغ الروسية في السابع من تشرين الثاني ٢٠١١ . يعتقد بعض المحللين أنه إذا تحالفت القوات الجوية والبحرية والبرية لجيوش الدول التي تنتسب إلى هذا الائتلاف، فإنها تستطيع أن تهزم أي خصم لها، نظراً للطاقت العسكرية التي تمتلكها، ولاسيما القوى الكبرى كالصين وروسيا، ولا ننسى أن الأخيرتين تمتلكان أسلحة نووية.(٢٧) لم يكن إنشاء تحالف عسكري هو الدافع الرئيس لإيجاد هذه المنظمة، بل على العكس من ذلك، فإذا استثنينا أوزبكستان - التي انضمت إلى منظمة شنغهاي للتعاون بعد سنوات - نجد أن الدول الخمس الأخرى اجتمعت في عام ١٩٩٦ من أجل حلحلة القضايا الحدودية بين دول الاتحاد السوفيتي السابق وبين الصين، إذ تطرق البيان الأول المشترك لهذه الدول إلى خفض القوات المسلحة العسكرية الموجودة على تلك الحدود. وتظهر عملية المفاوضات الخاصة بمنظمة شنغهاي للتعاون أن حلحلة المشكلات الحدودية مهدت الطريق لتعاون الدول الأعضاء في هذه المنظمة في مجال الشؤون الأمنية. لقد دفعت أزمة القوقاز منظمة شنغهاي إلى الاهتمام بالقضايا الأمنية بعد الحرب بين روسيا والشيشان، وبعد المشكلات التي تواجهها الصين في مناطق سكن قوميات الإيغور والتبت . سابقاً، كانت اتفاقيات التعاون بين الدول الأعضاء في هذه المنظمة تهدف إلى مكافحة المجموعات الداخلية (المعارضة)، وليس الدول أو الاتفاقيات الأخرى، كما كانت عملية مكافحة الإرهاب - في مرحلة من المراحل - تشكل جزءاً أساسياً من التعاون في إطار المنظمة، أما التعاون العسكري فيبلغ حالياً مستوى المناورات العسكرية المشتركة.(٢٨)

تبحث الدول الأعضاء في منظمة شنغهاي للتعاون عن أهداف مشتركة في مختلف المجالات، لأن لديها الأصدقاء والأعداء أنفسهم، ما يمكن أن يؤثر في مسار تحويل هذه المنظمة إلى تحالف عسكري. لقد اتفق زعماء هذه الدول في اجتماعهم المهم في العاصمة الطايجيكية دوشنبه (ايلول /

سبتمبر ٢٠٠٨) على وجود عدو مشترك لهم، وهو حلف الناتو والولايات المتحدة الأمريكية. ولم تختلف آراء أي من دول الأعضاء حول تحدي الولايات المتحدة الأمريكية وحلف الناتو لاقتدار هذه الدول وسيادتها، وذلك إثر ضلوعهما في أزمة جورجيا. (٢٩) والشيء نفسه تكرر في الاجتماع الأخير لمنظمة شنغهاي للتعاون (تشرين الثاني ٢٠١١)، فقد بحثت مواضيع كانت نهايتها إبرام معاهدة أمنية بين دول الأعضاء التي اتفقت حالياً" على أن المنظمة تملك كل الطاقات المتعلقة بجيش مقدر على مستوى حلف الناتو، وأن الأمر المهم الذي يسهل تحقيق هذه الفكرة هو القدرة التقنية، وكذلك المساحة الكبيرة للمنطقة التي تضم هذه الدول. رغم اختلاف الجذور القومية والثقافية لجيوش منظمة شنغهاي فإنها تشترك في معاداتها للولايات المتحدة الأمريكية وللغرب أيضاً". لذا ليس من المستبعد أن تتمكن المنظمة من تجميع جيوشها تحت مظلة المنظمة في المستقبل المتوسط أو البعيد. (٣٠)

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق، إن روسيا استطاعت كسب تأييد الصين والدول الأعضاء في "منظمة شنغهاي للتعاون" إلى جانبها في انتقاد خطة الولايات المتحدة الأمريكية في إنشاء الدرع الصاروخي. ووقعت الدول الأعضاء في المنظمة، خلال اجتماعهم في العاصمة الكازاخية آستانة (يونيو/ حزيران ٢٠١١)، إعلاناً يحذر من الدرع الدفاعي، الذي تنوي الولايات المتحدة الأمريكية بناؤه في المنطقة من جانب واحد. وقال الإعلان: "إن بناء دولة واحدة، بشكل أحادي مثل هذا الدرع، يخل بالتوازن الاستراتيجي، وبالسلم الدولي". وكانت موسكو قد صعدت من انتقادها لخطة الولايات المتحدة لنشر صواريخ دفاعية في أوروبا، ولم تقبل التأكيدات الأمريكية بأن المشروع لن يؤثر في قدرات روسيا النووية. وقد كان الرئيس الروسي ديميتري ميدفيديف قد حذر من حرب باردة جديدة بسبب هذه الصواريخ. وفيما تقول الولايات المتحدة أن الصواريخ تستهدف الوقاية من الخطر الإيراني المتزايد، تصر روسيا أنها تستهدف إضعافها بالأساس. (٣١)

وعليه، كان لدى كل من روسيا والصين هدف أساسي غير معلن وراء تأسيس منظمة شنغهاي للتعاون، هذا الهدف هو تأمين منطقة وسط آسيا الواقعة على حدودهما ضد أي تدخل أجنبي وضد أية عمليات أو تحركات إرهابية يكون لها فيما بعد تأثير مباشر على أمن ومصالح كلا الدولتين، ولهذا كان من الضروري أن تضم المنظمة الجديدة في عضويتها هذه الدول الواقعة في وسط آسيا على الحدود الصينية الروسية وأيضاً على الحدود الأفغانية التي تشكل مصدر مخاطر وتهديدات كثيرة للدولتين.

ولم تآلفت منظمة شنغهاي عند تأسيسها انتباه ولا اهتمام الآخرين، ولا حتى واشنطن وحلف الناتو، واعتبرها الجميع مجرد تنظيم إقليمي شكلي وخال من مضامين التعاون المشترك الفعلي، مثله مثل باقي التنظيمات الإقليمية التي تشكلت في المنطقة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وقد ساعد هذا الأمر كلا من موسكو وبكين على العمل بهدوء في وضع الأسس العملية والقوية لهذه المنظمة الجديدة، وقد ساعد على ذلك انشغال الولايات المتحدة وحلف الناتو بالحرب في العراق وإهمالهم لأفغانستان بعد غزوها لها عام ٢٠٠١. وقد لفت انتباه الصينيين والروس أنه في الوقت الذي كانت الأحداث مشتتة في العراق وشبه هادئة في أفغانستان، كانت الولايات المتحدة تدعم تواجدها العسكري في دول آسيا الوسطى عن طريق القواعد العسكرية التي أنشأتها هناك، الأمر الذي أثار الشكوك حول أهداف ونوايا واشنطن والناتو في المنطقة. (٣٢)

وكانت نقطة التحول في عام ٢٠٠٥ الذي كشفت فيه المنظمة عن وجهها الحقيقي كقوة إقليمية في وجه التواجد الأمريكي والغربي في وسط آسيا، وذلك في أعقاب الثورة التي اندلعت في أوزبكستان ضد نظام الرئيس إسلام كريموف الذي كان يعد الحليف والصديق الأول لواشنطن في المنطقة، ولكن المفاجأة أن واشنطن أيدت الثورة وانتقدت الرئيس كريموف على تعامله بقوة وعنف مع الثائرين. بينما دعمت كل من روسيا والصين نظام إسلام كريموف الذي قرر بعد ذلك تخليه عن التحالف مع واشنطن، وقرر أيضا " طرد القاعدة العسكرية الأمريكية من أراضي بلاده، وطردت القاعدة بالفعل في أكتوبر/ تشرين الأول من نفس العام، وانعقدت في العام التالي قمة منظمة شنغهاي التي قررت طرد القواعد الأمريكية من أراضي الدول أعضاء المنظمة. (٣٣)

ولم يكن هذا هو الحدث الوحيد في عام ٢٠٠٥ لإبراز وجود منظمة شنغهاي على الساحة كقوة إقليمية جديدة تترصد للتواجد الأمريكي والغربي في وسط آسيا، فقد كانت في أغسطس / آب من العام نفسه زيارة الرئيس الصيني هوجينتاو لموسكو ولقائه مع الرئيس الروسي «أنذاك» بوتين. والإعلان المشترك الصادر عنهما تحت عنوان «النظام العالمي في القرن ٢١» ليعكس مدى ما وصلت إليه العلاقات بين الدولتين في السنوات القليلة الماضية حتى أصبحت تتجاوز مباحثاتها العلاقات الثنائية بينهما إلى بحث الأوضاع علي الساحة الدولية كلها ووضع تصور لنظام عالمي جديد يكسر حدة هيمنة القطب الأمريكي الأوحده، وبدت واضحة نية هاتين القوتين العظميين النووييتين روسيا والصين علي مواجهة الهيمنة الأمريكية، وذلك من خلال منظمة شنغهاي للتعاون ، (٣٤) حيث شهدت الزيارة حدثا "كبيراً" في إطار منظمة شنغهاي للتعاون لم يكن أحد

يتوقعه طيلة سنوات الحرب الباردة في القرن الماضي، حيث جرت ولأول مرة في تاريخ الدولتين روسيا والصين مناورات عسكرية مشتركة بينهما وعلى مستوى كبير، وبدرجة أصابت الغرب وواشنطن بحالة من الذعر والرعب على حد وصف صحيفتي الواشنطن بوست الأمريكية والهيرالد تريبيون البريطانية، هذه المناورات التي أجريت في الفترة من ١٨ وحتى ٢٥ أغسطس/ آب عام ٢٠٠٥، وشارك فيها نحو عشرة آلاف عسكري وقطاعات حيوية وإستراتيجية من قوات الدولتين ومن دول وسط آسيا أعضاء منظمة شنغهاي للتعاون، وقد تقدمت واشنطن بطلب لحضور المناورات كمراقب، ورُفض طلبها بينما دعي عسكريون من الهند وإيران لحضور المناورات، الأمر الذي وضع علامات استفهام كثيرة حول الأهداف غير المعلنة لهذه المناورات.(٣٥)

وتطور بعد ذلك نشاط منظمة شنغهاي للتعاون التي أصبحت محط اهتمام كبير من الغرب وواشنطن وكانوا ينتظرون مفاجأتها في كل عام، وفي عام ٢٠٠٧ انعقدت القمة السابعة للمنظمة في العاصمة القيرغيزية بشكيك، وقبيل انعقاد القمة أجرت الدول الأعضاء في المنظمة مناورات عسكرية مشتركة واسعة النطاق تحت شعار (مهمة السلام – ٢٠٠٧). وكان آخر هذه المناورات جرت في شهر يوليو / حزيران ٢٠٠٩ تحت شعار «مهمة السلام- ٢٠٠٩» العسكرية المشتركة ضد الإرهاب، وهي الثالثة من نوعها، التي تعكس المستوى العالي للتعاون العسكري بين الدول أعضاء المنظمة.(٣٦)

وعدّ المراقبون والمحللون الدوليون أن هذه المناورات كشفت عن الوجه العسكري والنوايا الإستراتيجية لهذه المنظمة التي بدت للجميع أنها ليست مجرد منظمة للتعاون والتنسيق بين أعضائها بقدر ما هي تحالف عسكري إقليمي يستهدف عدواً مشتركاً لهذه الدول بالتحديد. ووصل الأمر ببعض المراقبين والمحللين إلى عدّ منظمة شنغهاي وريثاً لطف وارسو السابق لكنه سيكون أقوى بكثير من حلف وارسو، بوصفه يضم في عضويته دولتين عظميين نوويتين هما روسيا والصين، ويغطي حوالي ربع سكان الكرة الأرضية. وقد أكد هذا التوجه رئيس هيئة الأركان العامة للقوات المسلحة الروسية الجنرال "يوري بالوفسكي" في كلمة ألقاها في اجتماع رؤساء أركان جيوش الدول الأعضاء في المنظمة في ٩-٨-٢٠٠٧م، قائلاً: (لا يمكن أن تنجح منظمة شنغهاي للتعاون في المجال الاقتصادي، إلا عندما يتم تدعيم الأمن الإقليمي، فالقيادة العسكرية الروسية ترى أن تطورات الوضع السياسي الدولي تستوجب إقامة تعاون عسكري أيضاً".(٣٧)

وأبدت الولايات المتحدة الأمريكية قلقها الشديد من هذه المناورات على لسان الناطقة الصحفية باسم السفارة الأمريكية في بكين (سوزان ستيفنسون Suzanne Stevenson) ، التي ذكرت بأن الولايات المتحدة طلبت من منظمة شنغهاي للتعاون الموافقة على حضور مراقبين عسكريين أمريكيين لمتابعة تدريبات مهمة السلام- ٢٠٠٧ (Peace Mission 2007) التي تجريها المنظمة على الأراضي الصينية والروسية، انطلاقاً من مدينة اورومتشي الصينية، وجرت فعالياتها الرئيسية خلال المدة من ١١ ولغاية ٢٠٠٧/٨/١٧ في منطقتي " تشيباركول " و "بتشيلياينسك " الروسيتين. وشارك فيها نحو (٦) آلاف عسكري من القوات المسلحة لدول منظمة شنغهاي، منهم: حوالي (٢٠٠٠) عسكري من روسيا، و (١٧٠٠) عسكري من الصين، والبقية من الدول الأعضاء الأخرى: كازاخستان، وقرغيزستان، وطاجيكستان، وأوزبكستان، فضلاً عن أكثر من ألف آلية عسكرية. (٣٨)

وكتبت صحيفة «International Herald Tribune» إن روسيا تعترض طريق تحقيق المشاريع الأمريكية. إذ تحاول موسكو أن تجعل منظمة شنغهاي للتعاون ثقلاً موازياً للناو. وأشارت إلى حضور الرئيس الإيراني محمود أحمدني نجاد أعمال قمة منظمة شنغهاي للتعاون عام ٢٠٠٧ التي انضم إليها في السنوات الأخيرة كل من إيران والهند وباكستان ومنغوليا بصفة مراقب مما يحول هذه المنظمة تدريجياً إلى حلف جبار من شأنه أن يواجه الولايات المتحدة. وقد أعلن شون روبرتس خبير شؤون آسيا الوسطى في جامعة جورج تاون بواشنطن « إن منح الولايات المتحدة صفة مراقب لدى منظمة شنغهاي للتعاون في المستقبل المنظور احتمال ضئيل. ذلك لأن أعضاء المنظمة وفي مقدمتهم روسيا يريدونه نادياً خارجاً عن النفوذ الأمريكي». وبحسب الأخير فإن منظمة شنغهاي يمكن أن تصبح «حلفاً جديداً في الشرق». (٣٩)

ويبدو مما سبق أن العوامل الموضوعية تصب في صالح تحول المنظمة إلى قطب جديد في السياسة الدولية أو حلف بديل لحلف وارسو ضد الناتو ، لاسيما مع تزايد تطلع القوى الإقليمية الكبرى في منطقة جنوب وشرق آسيا إلى لعب دور مهم على الساحة الدولية، والحيلولة دون ترك الساحة للهيمنة الأمريكية.

الاستنتاجات :

نخلص مما سبق إلى النتائج والاحتمالات الآتية :

- ١- تضم منظمة شنغهاي للتعاون أربع دول من الدول النووية الثماني المعروفة في العالم وتضم العدد الأكبر من الرؤوس النووية، فضلاً عن موارد الطاقة المهمة في روسيا وروسيا الوسطى وبحر قزوين، وفضلاً عن هذا كله تملك الإرادة السياسية، التي تستطيع بها أن تحوّل القوة إلى مصدر لاكتساب المكانة العالمية.
- ٢- أثبتت الدراسة أن أحد أهم أهداف منظمة شنغهاي للتعاون ، هو العمل على قيام تعددية قطبية، تعبيراً عن رفض أحادية الولايات المتحدة في قيادة العالم. على الرغم من أن إعلان تأسيس "منظمة شنغهاي" ينص على أن المنظمة ليست تحالفاً موجهاً ضد دول أو مناطق أخرى، وأنها تلتزم بالانفتاح السياسي.
- ٣- على الرغم من أن الأهداف المعلنة لمنظمة شنغهاي تتفق مع أهداف الولايات المتحدة الأمريكية بشأن ما يسمى "الحرب على الإرهاب"، إلا أن هناك أهدافاً غير معلنة للأطراف كافة، وهو ما يثير قلق الولايات المتحدة، التي ترغب في الاستحواذ منفردة على الثروات الطبيعية الضخمة لآسيا الوسطى وبحر قزوين، ولاسيما الثروات الهائلة من النفط والغاز، وخطوط نقلها للأسواق العالمية.
- ٤- لاشك أن عضوية روسيا في منظمة قوية و متماسكة مثل منظمة شنغهاي يتيح لها العديد من الفرص والمزايا الأمنية والسياسية والاقتصادية، في مقدمتها أن صانعي السياسة الخارجية في الدول الغربية لن ينظروا إليها بوصفها لاعبا منعزلا ومحدود التأثير، ولكن بوصفها شريكا مهما في تكتل يعده الكثير من المراقبين بمثابة حلف عسكري مضاد لواشنطن، فضلاً عما يتيح التعاون مع دول المنظمة، وخاصة في مجال النفط وتصدير الأسلحة من عائدات مالياً تساعدها في التغلب على المشكلات الاقتصادية التي تواجهها داخلياً". كذلك تعرقل المنظمة المحاولات الأمريكية الساعية لتقليص الدور الروسي في المنطقة، وحصارها وإضعافها بصورة تمنعها من استعادة دورها بوصفها قوة عظمى في المستقبل المنظور على الأقل، وعزلها عن مجالها الحيوي في آسيا الوسطى والقوقاز.
- ٥- تسعى الصين من عضويتها في المنظمة إلى إيجاد أسواق لمنتجاتها وتوسيع مواردها من الطاقة. هذا فضلاً عن اهتمام الصين باستتباب الأمن على حدودها الطويلة مع دول آسيا الوسطى وروسيا الاتحادية التي تصل أطوالها الإجمالية إلى (٧٥٠٠ كم) . ومن هذا المنطلق سعت بكين إلى تفاهات ثنائية وجماعية في إطار منظمة شنغهاي من أجل المحافظة على الوضع القائم وخلق مناطق حدودية منزوعة السلاح .

٦- تقف "شنغهاي" عقبة أمام محاولات تطويق إيران (التي تحظى بصفة مراقب في المنظمة) وفرض عزلة دولية عليها، إذ إن رغبة إيران في تفعيل دورها في المنظمة يقلق الولايات المتحدة. وقد سبق أن انتقد وزير الدفاع الأمريكي السابق "دونالد رامسفيلد" مشاركة طهران كمراقب في أعمال قمة شنغهاي السادسة في الصين، قائلاً: (من الغريب السعي لضم دولة مثل إيران التي تُعدّ من أكبر الدول الداعمة للإرهاب إلى منظمة تدعي أنها ضد الإرهاب). كما أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية من قبل أن (منظمة شنغهاي تعرقل انتشار الديمقراطية في المنطقة). (٤٠)

٧- أن وجود دولتين مثل روسيا والصين على رأس هذه المنظمة هو العنصر الرئيس الذي يتوقف عنده المراقبون في رؤيتهم المستقبلية لدور هذه المنظمة. فعلى الرغم من حديث بعضهم عن احتمال تضارب المصالح مستقبلاً بين روسيا والصين بسبب النمو والتقدم السريع في شتى المجالات لجمهورية الصين الشعبية، التي أصبحت اليوم قوة اقتصادية وعسكرية إقليمية ودولية لا يستهان بها، إلا أن المصالح المشتركة في واقع الأمر بين روسيا والصين أكثر من نقاط الخلاف، وهذا ما يظهر من خلال تطور العلاقات بين الدولتين بشكل مستقل، وعبر أطر منظمة شنغهاي. ولعل الهدف الأهم الذي يدفع إلى التقارب بين بكين وموسكو هو رفضهما للسياسات الأمريكية في العالم والسعي لاستعادة ما للدولتين من حجم ودور دوليين، تراجعاً في السنوات الأخيرة على حساب تقدم أمريكي نحو مصالح الدولتين.

٨- - سعت روسيا والصين لتقوية تجمع دول شنغهاي للتعاون أمام المد الأمريكي في آسيا الوسطى وذلك بإضافة أهداف إستراتيجية جديدة سياسية وعسكرية وأمنية واقتصادية، فهي بمثابة ضمانة للأمن والاستقرار لدول المنظمة وآسيا الوسطى. فهي منظمة إقليمية تعطي دفعا لتعميق علاقة الشراكة على أساس مبادئ التكافؤ والاحترام المتبادل ومراعاة مصالح جميع الأعضاء الشركاء، وتسعى من جهة أخرى إلى بناء نظام عالمي عادل وديمقراطي وإنشاء هيكل معاصر للأمن الدولي.

٩- وفي الختام، توصلت الدراسة أن الولايات المتحدة ستبذل قصارى جهدها للحيلولة دون نشوء قوة إقليمية قوية في آسيا تجمع بين دول آسيا الوسطى وشرق آسيا وروسيا. ولا يُستبعد أن تسعى الولايات المتحدة لنسف أي تقارب صيني - روسي قد يفضي إلى نشوء تحالف قوي بينهما. ويُتوقع أن تعمل واشنطن على توجيه ضربة للعلاقات بين العملاقين ومنظمة شنغهاي للتعاون، إما من خلال التأثير على القيادة الروسية وجرها نحو المسار الغربي، مستغلة في ذلك وجود قوى داخل روسيا ما زالت تنادي بضرورة التوجه نحو الغرب. وإما بالعمل على خلق خلافات بين موسكو وبكين.

هوامش البحث ومراجعته

١- طه الولي ، منظمة دول شنغهاي : هل سنشهد ولادة قطب دولي مؤثر ، شؤون عربية ودولية ، صحيفة النور ، العدد (١٥٨) ، الحزب الشيوعي السوري ، في ٧ / ٧ / ٢٠٠٤ ، ص ١ . على الرابط التالي :

[http://www.an-nour.com/old/old/158/arabic&international/arabic_international%20\(9\).htm#Top](http://www.an-nour.com/old/old/158/arabic&international/arabic_international%20(9).htm#Top)

٢- جمال مظلوم ، التعاون الصيني – الروسي في إطار منظمة شنغهاي ، مجلة السياسة الدولية ، العدد (١٦٤) ، السنة (٤٢) ، القاهرة ، أبريل ٢٠٠٦ ، ص ٦١ .

٣- ينظر : (إعلان بشكيك) ، الأرشيف ، مركز الجزيرة للدراسات ، في ١٣ / ٦ / ٢٠٠١ ، ص ١-٢ . على الرابط التالي :

<http://www.aljazeera.net/news/archive/archive?ArchiveId=10240>

٤- جمال مظلوم ، مصدر سابق ، ص ٦١ .

٥- احمد علو ، منظمة شنغهاي : بين تحالف المصالح وصراع الحضارات ، مجلة الجيش ، العدد (٢٩٣) ، موقع الجيش اللبناني على الانترنت ، تشرين الثاني ٢٠٠٩ ، ص ٣ . على الرابط التالي :

<http://www.learmy.gov.lb/article.asp?ln=ar&id=23653>

٦- المصدر نفسه ، ص ٤ .

7- Marcel de Haas , And others, The Shanghai Cooperation Organisation : Towards a Full-Grown Security Alliance?, Netherlands Institute Of International Relations , Clingendael , November 2007,P.5. On The Following Link:

http://www.nbiz.nl/publications/2007/20071100_cscp_security_paper_3.pdf

8- Mehmood-Ul-Hassan Khan , Shanghai Cooperation Organization's Geo-Political and Geo-Strategic Dynamics , News & Articles , 27 January 2009 , p.4-5. On The Following Link :

<http://www.opfblog.com/8503/shanghai-cooperation-organization's-geo-political-and-geo-strategic-dynamics/>

(*) منظمة معاهدة الأمن الجماعي : هي تحالف عسكري سياسي شكله عدد من الجمهوريات السوفيتية السابقة على أساس معاهدة الأمن الجماعي الموقعة بتاريخ ١٧ مايو/أيار عام ١٩٩٢، تضم كلا من روسيا وبييلوروسيا وكازاخستان وطاجيكستان واوزبكستان و ارمينيا وقرغيزستان . إن الهدف الأساسي للمنظمة يتمثل في التنسيق وتعميق العمل العسكري السياسي المتبادل لهذه الدول وتقديم المساعدة اللازمة ، بما فيها الحربية للدول المشاركة التي تتعرض لعدوان خارجي. وتشمل منطقة مسؤولية هذه المنظمة مناطق تمتد من القوقاز مروراً "بآسيا الوسطى وحتى أوروبا الشرقية. وفي اكتوبر تشرين الثاني عام ٢٠٠٧ وقع رؤساء الدول الأعضاء في منظمة الأمن الجماعي أثناء قمتهم في العاصمة الطاجيكية دوشنبيه على بروتوكول يتضمن آلية تقديم المساعدات العسكرية التقنية للدول الاعضاء في المنظمة، في حال ظهور تهديد بالعدوان عليها، او في حالة العدوان الفعلي عليها. أما المسائل العملية لتقديم مثل هذه المساعدات أثناء وقوع العدوان فتجري تجربتها من خلال المناورات العسكرية المشتركة التي تنظمها قيادات الأركان على ٣ مستويات: إستراتيجي وميداني وتكتيكي. وقد جرت المرحلة الأولى للمناورات في أرمينيا في شهر يوليو/تموز عام ٢٠٠٨ ، ثم جرت المرحلة الثانية في موسكو. فيما اشترك في المرحلتين الثالثة والرابعة القوات المرابطة في القاعدة العسكرية الروسية ١٠٢ الموجودة في الأراضي الأرمينية، وكذلك قوات أرمينية وقوات عائدة للدول الأعضاء الأخرى. لمزيد من التفاصيل ، ينظر: (معلومات عن منظمة معاهدة الأمن الجماعي) ، قناة روسيا اليوم ، في ٤ / ٢ / ٢٠٠٩ ، ص ١ . على الرابط

التالي : http://arabic.rt.com/news_all_info/info/25310

(**) - ينظر التصريح بالتفصيل ، في : عدنان برجى، تنامي قوة منظمة شنغهاي واحتمالات المستقبل، صحيفة المثقف، العدد (١٩٤٢) ، تصدر عن مؤسسة المثقف العربي، في ١٦ / ١١ / ٢٠١١ ، ص ١-٢. على الرابط التالي :

www.almothaqaf.com/almothaqaf.htm

9- Zhao Huasheng , Establishment and Development of Shanghai Cooperation Organization , SIIS Journal, Vol. 9, No. 1, February 2002 , pp.2-3.

10- For More Details on The Subject, See : Stephen Aris , Russian – Chinese Relations through the Lens of the SCO , Ifri , Russia – NIS Center , September 2008 , pp.8-10 . On The Following Link :

www.ifri.org/.../Ifri_RNV_Aris_SCO_Eng.pdf

11- Pan Guang , A Chinese perspective on the Shanghai Cooperation Organization ,In: The Shanghai Cooperation Organization , SIPRI Policy Paper, No. 17, Stockholm International Peace Research Institute , May 2007 , PP.45-46. On The Following Link :

books.sipri.org/files/PP/SIPRI17.pdf

١٢- تشانغ تزي كوين ، قضية الأمن النفطي في الصين ، الموجز ، روسيا اليوم ، في ١٧ / ٩ /

٢٠١١ ، ص ٩ . على الرابط التالي :

<http://www.almogaz.com/economy/news/2011/09/17/6989>

13- Zhao Huasheng , Op.Cit , p.2.

١٤- ابو بكر الدسوقي ، العلاقات الروسية – الصينية: محددات الخلاف وأفاق التعاون ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة ، ١ أكتوبر ٢٠٠٧ ، ص ٢ . على الرابط التالي :

<http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=221972&eid=4697>

١٥- ينظر : (كازاخستان) ، ويكيبيديا : الموسوعة الحرة ، ٢٣ أكتوبر ٢٠١١ ، ص ١-٢ . على

الرابط التالي :

<http://ar.wikipedia.org/wiki/كازاخستان>

16- Zhao Huasheng , Op.Cit , p.4.

17- Erlan Karin , The Shanghai Cooperation Organization and Its Implications for Central Asia , pp.318-320. On The Following Link :

http://src-h.slav.hokudai.ac.jp/coe21/publish/no2_ses/4-3_Erlan.pdf

١٨- جبار علي عبدالله جمال الدين ، مستقبل منظومات التعاون الإقليمي في ظل المتغيرات الدولية ،

مجلة الكوفة للعلوم القانونية والسياسية ، السنة الأولى ، العدد (١) ، جامعة الكوفة ، كلية القانون ،

كانون الأول ٢٠٠٩ ، ص ٢٢ .

19- ZHAO Huasheng , Security Building in Central Asia and the Shanghai Cooperation Organization , pp.291-292. On The Following Link :

http://src-h.slav.hokudai.ac.jp/coe21/publish/no2_ses/4-2_Zhao.pdf

20- Ibid , PP. 289-291.

٢١- عاطف معتمد عبد الحميد ، مصالحو الشياطين من موسكو إلى بكين ، تحليلات ، الجزيرة للدراسات ، في ٥ أيلول / سبتمبر ٢٠٠٥ ، ص ٢-٣ . على الرابط التالي:

[http://www.aljazeera.net/NR/exeres/1338F68D-3C6C-49BF-84B9-](http://www.aljazeera.net/NR/exeres/1338F68D-3C6C-49BF-84B9-FCEE9ECCABD9.htm)

[FCEE9ECCABD9.htm](http://www.aljazeera.net/NR/exeres/1338F68D-3C6C-49BF-84B9-FCEE9ECCABD9.htm)

٢٢- محمد عباس ناجي ، التوجه الإيراني شرقاً" .. الدوافع وحدود الفعالية ، مختارات إيرانية ، المجلد السابع ، العدد (٧٢) ، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام ، القاهرة ، يوليو ٢٠٠٦ ، ص ٣-٤ .

٢٣- إبراهيم عرفات ، آسيا الوسطى : التنافس الدولي في منطقة مغلقة ، مجلة السياسة الدولية ، في ١ يناير ٢٠٠٧ ، ص ٢ . على الرابط التالي :

<http://ahramonline.org.eg/articles.aspx?Serial=221820&eid=1835>

24- Andre Gunder Frank, The Centrality of Central Asia, Comparative Asian Studies, vol.8 , Amsterdam , VU Press, 1992, pp.23-26. On The Following Link :

<http://www.librarything.com/work/7042967/commonknowledge/>

٢٥- شاي زي (Shi Ze) ، المتغيرات في آسيا الوسطى وتوجه الأوضاع فيها ، شؤون سياسية ، المركز العربي للمعلومات ، في ١ / ٥ / ٢٠٠٥ ، ص ١ . على الرابط التالي :

<http://www.arabsino.com/articles/10-05-11/1414.htm>

26- Zhao Huasheng , Establishment and Development of Shanghai Cooperation Organization , , Op.Cit , p.5.

27- See : Bakhtiyar Dauekeev, Shanghai Cooperation Organization As A Counterbalance to The United States , A Thesis Submitted in Partial Fulfillment Of The Requirements For The Degree Of Master Of Arts , Wright State University , 2011,PP.80-82.

٢٨- ينظر : (مستقبل منظمة شنغهاي للتعاون)، صحيفة العرب، العدد (٧٣٩٤)، قطر، في ٩
سبتمبر ٢٠٠٨، ص ١. على الرابط التالي :

<http://alarab.com.qa/details.php?docId=55149&issueNo=259&secId=15>

٢٩- المصدر نفسه، ص ٢.

30- Bakhtiyar Dauekeev, Op.Cit , p.96.

٣١- ينظر : (روسيا والصين تحذران من الدرع الصاروخي الأمريكي)، BBC عربي، في ١٥
يونيو / حزيران، ٢٠١١، ص ١. على الرابط التالي :

http://www.bbc.co.uk/arabic/worldnews/2011/06/110615_astana_sco.shtml

٣٢- ليونيد ألكسندر وفتش، منظمة شنغهاي للتعاون.. تحالف عملاق في آسيا، صحيفة البيان، دبي،
١٩ يونيو / حزيران ٢٠١٠، ص ٢. على الرابط التالي :

<http://www.albayan.ae/one-world/1265978216104-2010-06-19-1.256924>

33- Mark N. Katz , Russia and the Shanghai Cooperation Organization:
Moscow's Lonely Road from Bishkek to Dushanbe , Asian Perspective,
Vol. 32, No. 3, 2008, pp. 183-187.

٣٤- ليونيد ألكسندر وفتش، العلاقات الروسية الصينية (موازين القوى العالمية تنتقل من الغرب
إلى الشرق) ، ملفات عربية و دولية ، صحيفة القوة الثالثة، في ١٧ / ٥ / ٢٠١٠، ص ٢-٣. على
الرابط التالي :

<http://www.thirdpower.org/read-52077.html>

٣٥- ليونيد ألكسندر وفتش، منظمة شنغهاي للتعاون.. تحالف عملاق في آسيا، المصدر السابق،
ص ٣.

٣٦- ليونيد ألكسندر وفتش، العلاقات الروسية الصينية (موازين القوى العالمية تنتقل من الغرب
إلى الشرق) ، المصدر السابق، ص ٤.

٣٧- فاطمة إبراهيم المنوفي، منظمة شنغهاي للتعاون في حقوق مسلمي آسيا الوسطى، صحيفة
أخبار اليوم، في ٢٥ / ١١ / ٢٠١١، ص ٢. على الرابط التالي :

http://www.akhbaralalam.net/author_article_print.php?id=808

٣٨- عبدالكريم صالح المحسن، العلاقات الروسية- الصينية التاريخ والتطلعات، السياسة والعلاقات الدولية، الحوار المتمدن، العدد (٣٣٩١) ، في ٩ / ٦ / ٢٠١١ ، ص٥. على الرابط التالي :

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=262546>

٣٩- ليونيد ألكسندر وفتش ، منظمة شنغهاي للتعاون.. تحالف عملاق في آسيا، المصدر السابق ، ص٥.

٤٠- ينظر : فاطمة إبراهيم المنوفي ، مصدر سابق ، ص ٣.